الباب الثاني

عطاء الحضارة الإسلامية في مجال إعلاء العقل والعلم، والإبداع العلمي واكتشاف المنهج التجريبي، وأثر ذلك في إطلاق النهضة الأوروبية

١- الفصل السابع

العطاء الإسلامي وقضايا الإعجاز في القرآن الكريم

٢- الفصل الثامن

عطاء الإسلام والإبداع العلمي عند المسلمين

٣- الفصل التاسع

مجالات الإبداع العلمي عند المسلمين

٤- الفصل العاشر

العطاء الإسلامي في مجال المنهج:

المنهج التجريبي إفراز العقل المسلم

٥- الفصل الحادي عشر

إبداع المسلمين العلمي والمنهجي وأثره علي إطلاق النهضة

الفصل السابع

العطاء الإسلامي وقضايا الإعجاز في القرآن الكريم

١- مقدمة.

٢- العطاء الإسلامي في مجال الإعجاز التشريعي والعلمي.

٣- أنواع الإعجاز في القرآن الكريم.

مقدمة:

العطاء الإسلامي في مجال الإعجاز التشريعي والعلمي:-

القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة لكل زمان ومكان وكل العصور إلى يوم الـــدين، وهـــو معجزة خالدة ومتجددة تضمن مجموعة من الإعجازات المتعددة منها:

١- الإعجاز اللغوي.

٢- الإعجاز البياني.

٣- الإعجاز الفقهي.

٤- الإعجاز التاريخي (السنن التاريخية).

٥- الإعجاز التشريعي. في مجال الأسرة وحقوق الإنسان وتحريم الخمر والزنا والفواحش...إلخ

٦- الإعجاز الاقتصادي في طرح قواعد وثوابت يجب الالتزام بها في كل أنـــواع المعـــاملات الاقتصادية مع الأخذ في الاعتبار التجديد والتطوير في أوجه المعاملات الاقتـــصادية وضـــبط هـــذه المعاملات المستحدثة بضوابط شرعية ثابتة تحول دون تحولها إلى انحراف أو فساد أو إفساد أو إضرار بمصالح الناس.

٧- الإعجاز الاجتماعي في مجالات أحكام الأسرة وأحكـــام المـــيراث وأحكـــام المعـــاملات الزوجية، وأحكام تربية الأبناء، وأحكام الطلاق ومنهاج مواجهة المشكلات والأزمات الزوجية.

٨- الإعجاز العلمي، وهو إخبار الناس بحقائق لم يتوصل العلماء إلى معرفتها إلا بعد أكثر من ثلاثة عشر قرنا من نزول الوحي، وتشمل علوم الفلك والطب والكيمياء والفيزياء (١٦٨)... فهذه الحقائق وفهمها توصلنا إلى حقيقة الكون المنظور من خلال كتاب الله المقروء، مصداقا لقوله تعالى (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ) (٨٨) سورة ص. وقوله تعالى (تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) (٤٩) سورة هود.

ولا شك أن الجهود تبذل في إبراز الإعجاز العلمي والتشريعي والنفسي والبيئي واللغوي....الخ في القرآن الكريم، تؤدى عدة وظائف مهمة للمؤمنين وللبشرية كلها. وأول هذه الوظائف زيادة الطاقة الإيمانية عند المؤمنين، كما أنها تطرح حلولا لمشكلات وأزمات يعيش فيها الناس لافتقادهم الهداية الإلهية، كما هو الحال في مجال شرب وتعاطى المخدرات والمسكرات وممارسة الرذائل كالزنا واللواط، وفى مجال المعاملات الاقتصادية التي أفسدت المجتمعات وأفسدت الإنسان وأدت إلى الصراعات المدمرة بين الناس والطبقات والدول، ونحن الآن نشهد أزمة مالية اقتصادية مستحكمة تمسك برقبة كل دول العالم. وهذه الأزمة انطلقت من أمريكا والغرب الذي يقوم على رأسمالية متوحشة لا تلقى بالا بالأحكام والضوابط الشرعية الدينية في مجال المعاملات الاقتصادية. والجهود التى تبذل في مجال بيان إعجاز القرآن والسنة في المجالات المتعددة، تكسب الإسلام أنصارا جددا من أكبر العلماء والمفكرين في العالم. فالتفكير في الإسلام فريضة إسلامية، والعلم فريضة، والحوار العلمي المتوازن بالحكمة فرصة للوصول إلى الحقائق التى يتفق عليها العقلاء من البشر، وإعلاء شأن العقل والحس كمصادر للمعرفة أمر أوجبه الإسلام بشرط الانضباط بأحكام الوحي.

ويقول الله عن كتابه الكريم (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) (هود ١) وهو المحفوظ بحفظ الله من التحريف والتبديل والحذف والإضافة (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (٩) سورة الحجر.

---

(١٦٨) محمد شوقى الفنجرى: تقديم لندوة الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم التى عقدت بالجمعية الخيرية الإسلامية ٢٤ فبراير سنة ٢٠٠٣ - مطبوعات الجمعية ٢٠٠٣ صـ ٧-٨ .

وهذه الحقيقة الكبرى قد اعترف بها الكثير من العلماء من غير المسلمين الذين اتصفوا بالحيـدة والعلمية والمنهجية والنزاهة. فقد أكد فريق من الأساقفة والرهبان والنصارى في الـدنمارك منـذ سنوات، بعد مناظرة مع علماء المسلمين أن (القرآن الكريم هو الكتاب الإلهـي الوحيـد الـذي لم يتعرض للتحريف قط، في حين أن الكتب السماوية لسائر الأديان الماضية قد تعرضـت للتحريـف على مر التاريخ) (١٦٩).

ويجمع الباحثون إلى أن المقصد الأسمى من القرآن الكريم هو هداية الإنسان لما يحقق لهم الصلاح والنفع في الحياة الدنيا وفى الآخرة. لكن للقرآن أهدافا أخرى سامية ورفيعة، وأودع الله فيه كنـوزا ثمينة يتوالى الكشف عنها مع مر السنوات والقرون والعصور. هذه الكنوز تتمثل في الإعجاز اللغوي والبياني والفقهي والتشريعي والاجتماعي والبيئي والنفسي والعلمي.... الخ.

ولأن القرآن الكريم كتاب هداية الله للناس إلى يوم الدين فإننا نلاحظ أن من أوجـه الإعجـاز القرآني أمران أساسيان وهما:

<u>الأول:</u> لم يخاطب الناس عن حقائق كونية يجهلونها وغير مهيئين لقبولها وحتى الاسـتماع إليهـا ومناقشتها، لأن هذا يؤدى بالناس إلى رفضه وعدم قبول دعوته. وقد جاء في الأحاديث النبوية مـا يفيد (حدثوا الناس بما يعملون – أتحبون أن يكذبوا الله ورسوله).

<u>الثانية:</u> عدم موافقة الناس في عصر نزول الوحي علـى معتقـداتهم الكونيـة والاجتماعيـة والاقتصادية....الخ.

لأن هذا يتنافى مع مقاصد القرآن في الهداية الربانية للناس، ولأن ذلك يعنى عدم قبوله في عـصر التقدم العلمي والتكنولوجي (١٧٠).

ومن هنا جاء الإعجاز المتعدد للقرآن الكريم. فوجود تدرج في إدراك تمام التطابق بين العبـارات والإشارات القرآنية وبين الحقائق الطبيعية، وفطرة الناس، وما يحقق لها المـصالح العامـة وليـست الخاصة، الحقيقية وليست الوهمية، كل هذا يعد أبلغ دليل أنه من عند الله الخالق البـارئ المـصور.

---

(١٦٩) كارم غنيم: جهود وإنجازات الجهات العاملة فى مجال الإعجاز للقرآن والسنة: ندوة الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم: مطبوعات الجمعية الخيرية الإسلامية ٢٠٠٣ صـ ٩ .

(١٧٠) المصدر السابق صـ ١٠ .

وهذا ما يبقى القرآن الكريم معجزة خالدة مستمرة لا يخلق على كثرة الرد كما أشار رسولنا الكريم ﷺ.

وإذا تحدثنا عن الإعجاز العلمي للقرآن والسنة فإننا نقصد إخبارهما بحقيقة كونية أثبتها العلم التجريبي، وثبت استحالة إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ، فيما يثبت صدقه في بلاغه عن الله (١٧١) ووصف الإعجاز بأنه علمي نسبة إلى العلم التجريبي المعنى بدراسة الظواهر المطردة في الآفاق وفى النفس وصولا إلى القوانين التي تحكمها وتفسر سلوكها وتعلل حدوثها. قال تعالى (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (٥٣) سورة فصلت.

وبالنسبة للإعجاز العلمي فقد بذلت العديد من الجهود الفردية والجماعية، ومن بين هذه الجهود على سبيل المثال لا الحصر في الماضي جهود كل من أبو حامد الغزالي (٤٥٠ – ٥٠٦هـ) وأبو الفضل المرسى (ت ٦٥٥هـ) وجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) والألوسي (١٢١٧-١٢٧٠).

وبرز فى القرن الرابع عشر الهجرى مجموعة كبيرة من الباحثين من بينهم محمد عبده، طنطاوي الجوهري، عبد الحليم محمود، محمد فريد وجدي، محمد الطاهر بن عاشور، بديع الزمان سعيد النورسى، عبد الرازق نوفل....الخ

أما في القرن الخامس عشر الهجرى وهو القرن الحالي فقد تكونت الجمعيات والهيئات والمجامع للدراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. بعض هذه الجهات حكومية، وبعضها أهلية، وبعضها غير متخصصة، وبعضها جهات خاصة(١٧٢).

وعندما نتحدث عن الإعجاز العلمي للقرآن الكريم تجدر الإشارة إلى أن الناس يتفاوتون في فهمهم للقرآن ونصوصه حسب معلوماتهم وعلمهم وتخصصاتهم واستطاعتهم وقوة فكرهم والجهد

---

(١٧١) عبد المجيد الزنداني: الإعجاز العلمى تأصيلا ومنهجا . مجلة الإعجاز – هيئة الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة / رابطة العالم الإسلامى فى مكة المكرمة العدد اصفر ١٤١٦ .

(١٧٢) للمزيد من المعلومات حول هذه الجهات المعنية بالإعجاز العلمى للقرآن . راجع المصدر السابق صـ١١ وما بعدها .

المبذول في الفهم. يذكر (الراغب الأصفهاني) في كتابه (مقدمة التفسير) (١٧٣) (ثم إن القرآن، وإن كان في الحقيقة هداية للبرية، فإنهم لن يتساووا في معرفته، وإنما يحظون بحسب درجاتهم واختلاف أحوالهم، فالبلغاء تعرف من فصاحته، والفقهاء من أحكامه، والمتكلمون من براهينه العقلية، وأهل الآثار من قصصه... وقد علم أن الإنسان بقدر ما يكتسب من قوته فى العلم تزايد معرفته بغوامض معانيه) (١٧٤). وهذا ينطبق على المتخصص فى العلوم التجريبية. وكما يقول أحمد فؤاد باشا (كم فى القرآن الكريم من آية إذا مستها يد العلم أبانت أسرارها وأظهرت إعجازها،ذلك أن القرآن الكريم له أسلوبه الحكيم) وله منطقه في إبراز آيات الله فى الكون والإنسان والمجتمع والتاريخ ومنطق الهداية الذى جاء به القرآن اقتضى ألا يخاطب الناس بما لا يعرفون أو بما يستعصى على أفهامهم، فيؤدى بهم ذلك إلى عدم تصديقه والتكذيب بما لم يحيطوا بعلمه. وقد سبق أن أشرنا إلى هذه الجزئية. ويشير باشا إلى ضرورة التمييز بين نوعين من المعجزات العلمية (١٧٥).

النوع الأول: المعجزة التى تتجه إلى العقل: وهى موجودة يلتقى بها ويشاهدها كل من يريد دراستها، وتتمثل فى الإطراد المنتظم لظواهر الكون والحياة التى لا تتبدل ولا تتحول. قال تعالى:

(فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) (٤٣) سورة فاطر.

النوع الثانى: المعجزة التى تكون من خوارق العادات: (كالزلازل والبراكين والتسونامى وغيره) وهى التى تذهل العقل وتضطره بالإفحام القاهر على التسليم بقدرة الله وعظمته فى خلقه بمشيئته المطلقة. والعالم الحق هو الذى يدرك عظمة الله فيما يشاهده من سنن الله فى الأفلاك والمادة وسلوك الكائنات.. وهنا يجب ألا تكون الألفة بهذه الظواهر مانعة من إدراك من يقف وراءها ويد العناية الإلهية العاملة بها.

ولهذا يميز باشا بين أمرين يجب التمييز بينهما:

الأول: الإعجاز العلمى. وهو الإخبار فى القرآن الكريم بحقيقة كونية قبل قيام العلماء المحدثون والمعاصرون باكتشافها.

---

(١٧٣) راجع أحمد الشرباصى: قصة التفسير: دار العلم القاهرة ١٩٦٢،،، وراجع أحمد فؤاد باشا: ضوابط البحث فى الإعجاز العلمى للقرآن الكريم: ندوة الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم .الجمعية الخيرية الإسلامية . مصدر سابق صـ٥٨ .

(١٧٤) أحمد فؤاد باشا: مصدر سابق صـ ٥٩ .

(١٧٥) المصدر السابق صـ ٥٣-٥٤ .

الثانية: التفسير العلمي للقرآن الكريم. ويقصد به الكشف عن معانى جديدة للآية القرآنية أو الحديث الشريف فى ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية دون سرف أو مغالاة وهذا يعنى أن تصبح هذه العلوم الكونية فى خدمة تفسير القرآن والسنة مثلما خدمته علوم اللغة والأصول والفقه وغيرها من العلوم الشرعية. وعطاء الإسلام للحضارة الإنسانية فى القرآن والسنة يتضح فى جوانب كثيرة متنوعة، فهو يريد أن يهدى البشرية لتطبق أحكامه وقيمه وأخلاقه حتى تنجو فى الدنيا والآخرة، ولهذا فقد شاءت حكمة الله أن يستخدم لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور أساليب متعددة تحقيقا لمقصد الهداية والإرشاد والترشيد. فالقرآن تارة يخاطب الناس بما يمس قلوبهم وعواطفهم، وتارة أخرى يقرع عقولهم قرعا شديدا.

وقد جعل القرآن الكريم التفكير فى خلق الله ومنه الكون المادى فريضة إسلامية – تقودهم إلى أمرين:

الأول: الهداية وتقوية الإيمان واليقين بوحدانية الله وقدرته وبديع صفاته.

الثانية: معرفة سنن الله الكونية والإنتفاع بها فى الاستفادة من المسخرات الكونية التى سخرها الله لصالح الإنسان (١٧٦).

ومباحث العلماء حول جوانب الإعجاز القرآنى فى مجال التشريع والعلم والمنهج والتربوية واللغوية والبيانية وغيرها، وقد جاء فى تفسير ابن كثير لقوله تعالى (لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا) (١٦٦) سورة النساء.

إن الله تعالى أنزل فى القرآن من علمه ما أراد أن يطلع العباد عليه من البينات والهدى والفرقان وكل ما يحبه الله ويرضاه وما يكرهه ويأباه وما فيه من العلم بالغيوب من الماضى والمستقبل (١٧٧).

وقد أخبرنا الله أنه سبحانه وتعالى سيفتح على الناس بمعرفة آياته فى الكون وفى النفس. قال تعالى (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (٩٣) سورة النمل. وقال تعالى (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (٥٣) سورة فصلت.

وهناك وجه آخر للإعجاز الدعوى فى القرآن الذى يتصل بحض الإنسان على استخدام عقله للتفكير فى آيات الله ومنها (السماوات والأرض والشمس والقمر ومنازله والمشارق والمغارب

---

(١٧٦) نبيل السمالوطى: التنمية بين التوجيهات الدينية والوضعية – دار المعرفة الجامعة ١٩٩٦ صـ ٣٢ .

(١٧٧) انظر مختصر تفسير ابن كثير: المجلد الأول صـ٤٦٦ .

والليل والنهار والفجر والغسق والظلمات والضياء والنور والنجوم والكواكب والبروج والبحـار والأنهار والعيون والرياح اللواقح والسحاب الثقال والمركوم والمنبسط، والبرق والرعـد والمطـر، والجبال الراسيات، والجدد البيض والحمر، والغرابيب السود، والأرض الهامـدة والأرض المهتـزة الرابية.. والجنات والنخيل والأعناب والتين والزيتون، والطلح والسدود واليقطين، والنمل والنحل والبعوضة والعنكبوت، والطير الصافات، والإبل والخيل والأنعام، واللبن يخرج مـن بـين الفـرث والدم،والشراب الشافى يخرج من بطون النحل، وخلق الإنسان من تراب ومن ماء مهين، وتطوره فى ظلمات الرحم خلقا من بعد خلق، وشفتيه ولسانه وسمعه وبصره، وفؤاده، وإخراج الحى من الميـت والميت من الحى(١٧٨)) ويشير (باشا) إلى أن هذه أمثلة قليلة بعيدة تماما عن الحـصر ممـا يلفـت القرآن إليه أولى الألباب الذين يعملون عقولهم وفكرهم بشكل صحيح، وبشكل يتفق مع وظـائف عقولهم كما خلقها الله سبحانه وتعالى.

والنظر والتفكير فى هذه الظواهر والحقائق وغيرها مما جاء فى القرآن الكريم، هو أمـر صـريح، وهو بالنسبة للمفكرين وعلماء المسلمين والمثقفين منهم فإنه يعد فريضة وتكليف (١٧٩)، أو فرض عين على كل متخصص كل فى تخصصه، وهؤلاء العلماء مطلوب منهم تبصرة غيرهم بما وصلوا إليه فى أبحاثهم.

يذكر الراغب الأصفهانى فى كتابه (مقدمة التفسير) أنه إذا كان القرآن الكريم كتاب هداية لكل الناس فإنهم لا يتساوون فى معرفته والإلمام بحقائقه، فالبلغاء تعرف مـن فـصاحته، والفقهـاء مـن أحكامه، وأهل الآثار من قصصه وهكذا (١٨٠). وبنفس القياس نقول: إن العلماء ليسوا بدعا بين من ذكرهم الأصفهانى، وكم من آيات القرآن الكريم إذا مستها يـد العلـم وشـرحها العلمـاء المتخصصون كل فى مجاله أبانت أسرارها وأظهرت إعجازها. وهى لم تأت بشكل علمى مباشر، لأن للقرآن أسلوبه الإلهى الحكيم، وهو لا يخاطب الناس عن الكون بما ينكـرون، أو يستعـصى علـى أفهامهم، حتى لا يؤدى هذا إلى التكذيب بما لم يحط به الناس. لكن القرآن يقضى بالحق ولا يوافـق الناس على باطل فى معتقداتهم الكونية زمن نزول الوحى، فيقوم ذلك حائلا دون قبـول دعوتـه فى

---

(١٧٨) فقرة منقولة من دراسة أحمد فؤاد باشا بعنوان: ضوابط البحث فى الإعجاز العلمى للقـرآن الكـريم: مصدر سابق صـ٥٦ — ٥٧ .

(١٧٩) راجع دراسة عبد الحافظ حلمى بعنوان: العلوم البيولوجية فى خدمة تفسير القرآن الكريم: مجلة عـالم الفكر: المجلد (١٢) العدد (٤) الكويت ١٩٨٢ م .

(١٨٠) راجع أحمد الشرباصى: قصة التفسير: دار القلم القاهرة ١٩٦٢،،، وراجع د. باشا: مصدر سابق٥٨ .

عصر التقدم العلمي والتقني. كل ذلك في علم الخالق البارئ المصور. وهذا ما أدى بآيات القرآن أن تجيء على هذا الشكل والصياغة البديعة المعجزة التي لا تصدر إلا عن خالق الكون والناس وسائر المخلوقات.

ولا شك أن الحديث حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم له مجموعة من الضوابط أهمها (١٨١):

١- اليقين أن علم الله هو العلم الشامل والمحيط الذي لا يعتريه خطأ ولا يشوبه نقص، وعلم الإنسان إنما هو بفضل الله، وأنه علم محدود ومعرض للخطأ.

٢- الحقائق العلمية كما يذكرها العلماء ويعرفون معناها وحدودها،تزداد وضوحاً مع الجهود العلمية التالية. فالمعرفة العلمية قابلة للتكذيب، وللخطأ وليست هناك،نهائية علمية، وإن المعرفة العلمية كلها تقع في مجال المعرفة الظنية، أما المعرفة اليقينية فهي ما جاء في القرآن الكريم وصحيح السنة. فالنص حجة على اكتشاف العلماء وليس العكس.

٣) في مجال الإعجاز العلمي يجب التمكن من التفسير وعلوم السنة والتمكن في اللغة العربية من حيث معاني المفردات أثناء نزول الوحي، ومن حيث القواعد النحوية والبلاغية ودلالاتها، مع مراعاة البعد عن التأويل في بيان الإعجاز العلمي للقرآن والسنة.

٤) الحقائق وكل ما جاء في القرآن لا يوضع موضع نظر واختبار، فالمرجعية لكلام الله وليس لبحوث العلماء أو للعلوم ولا تزكية.

٥) يجب عدم الاستشهاد بالآيات القرآنية في مجال العلوم التجريبية إلا عن علم وتمكن من العلوم الشرعية والعربية، وإلا يجب الرجوع إلى المتخصصين في هذه العلوم قبل أي استشهاد حتى لا تكون الجرأه غير المحمودة في التكلم في كتاب الله بغير علم.

٦) كل هذا يعني أن المجتهدين في مجال الإعجاز العلمي للقرآن يجب أن يجمعوا بين الحسنيين وهما التمكن من معرفة الظاهرة العلمية المتحدث عنها بتفاصيلها الدقيقة، والتمكن من العلوم الشرعية والعربية.

---

(١٨١) راجع أحمد فؤاد باشا: مصدر سابق صـ ٦٠ -٦٣ .